# في جنائن الغرب

## ﴿ نار السماء ﴾

في الجوّ سحابة مسودة الاطراف ، تبهت تارة ، وتارة تتقد وهي عابسة للكون كأنها الصيف المحرق . انها سابحة في الفضاء فتحلو مشاهدتها لرائيها الذى يخال في الوقت نفسه ان ريح الليل الهابة تحمل ضوضاء مدينة باسرها قد أسكرتها حرارة التقبيل وكثرة الملذات

أمن السماء اندفعت هذه السحابة ام من البحر صعدت او أفظت من الجبال او هي مركبة الجحيم النارية حاملة شياطين الى كوكب من الكواكب القاحلة ؟

قتماء هي الآن ولكن يا للذعر اذ كيف يندفع بين حين وآخر من جوفها غير المدرَك لهيب ساطع يتلوى كالثعبان

البحر ثائر وامواجه مزبدة وهي امواج عالية لا يدرك البصر طولها والاسماك تسبح في هذه المياه العميقة فتبدو تارة على سطحها كقطع من الفضة وتارة تتوارى في اللجة . وكأن الأفق البعيد ملامس لهذا البحر فتمتزج زرقة السماء بزرقة الماء

رأت السحابة النارية ذلك فثبتت وسألت :

أأُجفف هذه المياه ؟ فأجابها صوت يقول : كلاّ ! فاندفعت بقوة زفرة الرب ناشرة الظلمة في الارجاء

هوذا خليج على ضفتيهِ آكام خضراء قد ضُربت عليها خيام

يصدر عنها أغانٍ شجية ينقلها الهواء الى السماء . وها هم أناس رُحَّل يصيدون الاسماك والاطيار ، وهم عائشون احراراً . موطنهم العالم كله اذا ارادوا ذلك وفراشهم الارض وغطاؤهم السماء . انهم قبيلة تائهة حياتها في الشمس والهواء ، وها هم افرادها بين اطفال وشيوخ ونساء وفتيان وفتيات قد كونوا شبه دائرة واخذوا يرقصون حول نار مشبوبة يتصاعد لهيبها حيناً أفقياً وحيناً تعبث به الرياح . انهم مجهولون وقد أسفرت النساء منهم عن اذرع كالأبنوس وصدور كالليل فلاحت النهود السوداء

تعرَّوا رجالاً ونساء فألقوا بأنفسهم للاستحمام معاً الماء فامتزجت اصوات البشر الصادرة من صدورهم بهدير الامواج . ورددت الريح الهابة صدى صنوج وغناء فتوقفت السحابة النارية في الفضاء فصاح بها صوتٌ خفيّ : الى الامام . . ؟

مصر كبساط من سندس زاد منعكسة عليه شمس كالذهب الاصفر وكل ما فيها وديان . يغازلها في الشمال بحر بارد وفي الجنوب رمل محرق وهي ضاحكة بينهما ضحك السعادة والاطمئنان

هناك ثلاثة شواهق مثلثة الزوايا أقامها الانسان وهي تدهش البصر ، وقد مزقت رؤوسها الجوّ ، وتجمعت حول قواعدها الرمال والى جانبها اله من الحجر الوردي اللون قد آل على نفسه حراستها لئلا تهب ريح سموم كاللهب فتضطرها الى احناء الرؤوس . وهناك مسلات منصوبة ونيل هادئ مذساب تحركه نسمات تدفع الزوارق نحو مدينة تلامس منازلها الماء

سلطانة الكواكب متهادية نحو الغرب ، خالعة على المدينة ثوباً من الورد ، وقد داعب النسيم الماء العذب فطرقت مسامع مصر تنفسات عشيقها النيل الذي جعل يرنو بعينه الدامية اليها وهي منارة الامصار . هوذا سلطان منير قد طلع يتهادى في فضاء فسيح صافٍ لا تشوبه سحابة وأخذ يتبع آثار مصدر نوره كما يتبع العشيق خطوات معشوقته مستمداً منها سعادة تدوم ما دام لم يكن هناك احتكاك

سألت السحابة قائلة : اين أقف ؟ فاجابها صوت اهتزت له الارض : ابحثي

الارض كجمرة تتأجج ولا تشاهد العين سوى رمال يذرّها هواء ملتهب وهي رمال تبدو حيناً شامخة كالجبال وتظهر حيناً منبسطة كالسهول فنحن اذن في الصحراء التي تجتازها قوافل الجمال ولا يعرف منمزلاتها الندية سوى الله . وهي صحراء كبحر يتصاعد الدخان منه وزبد امواجه تراب من النار . فسألت السحابة أأحوّل هذا الاتون المتراي الاطراف الى بحيرة تحترقها الافلاك ؟

فاجابها صوت من السماء :

الى الامام ! الى الامام !

هذه بابل ذات القلاع المتهدمة ، بل هذه هي المدينة العظيمة التي انبثقت منها مفاخر الفتوحات ولكنها خرت وانهارت فارتسمت اظلال الاطلال ذات المنظر المؤثر على اربعة جبال تحيط بها احاطة السوار . بل هذه هي الدائرة التي اقيمت فيها سلم يرقى بها الى السماء . ولكن السلم

حطمت فاصبح لا يسمع فى تلك الاطلال سوى فحيح الافاعي وزئير ملوك الغابات ، ولا يرى حولها غير النخيل المحلقة في جوانبه العقبان

فسألت السحابة : أأجهز على هـذه البقايا : . . فاجابها الصوت السماوي : الى الامام ! الى الامام !

فاندلع منها لسان ناري كان لاندلاعه دويٌّ كقصف الرعود وقالت : الى اين المساق ؟

ها هما مدينتان تناطح قصورهما الجو ويتخلل طرقها وساحاتها الحدائق فتعبث النسمات بازهارها ورياحينها فيمتزج شذاها العطر بزفرات دنسة صادرة عن اجسام وطئ ذووها الفضيلة بقدم الرذيلة فقتلوهـا في نفوسهم قتلا فاستسهلوا تضحية الطهارة للعار والعفاف للشهوات ، فباتوا عرايا تحت تأثير هزات الحب ، سكارى بخمرة الوصل ، فيا ايتها المدينتان الجهنميتان المندفعتان في لجج الاهواء ، الخالعتان عنهما اكليل الكمال ، الدائبتان في ايجاد سافل المسرات انكما وصمة المدن ومصدر دنس للامم جمعاء

ها نجمة الصبح قد اشرقت متلألئة في سماء مكفهرة الأفق ، والمدينتان في سبات ، اذ قد انقطعت ضوضاء القبلات وهمدت النفوس وانعكست اشعة القمر على اجسام منطرحة على الثرى وهي جامدة كالجثث لما حل بها من العياء ، فاخذ الهواء من جوانب سادوم متجهاً نحو عامورة وللحين حجبت السحابة السوداء السماء ، فقال لها القائل العلوي بصوت يصم الاذان : هنا ! فانفجرت السحابة انفجاراً ذا دوي هائل ، واندلعت

السنة النار اندلاعاً ، وهوت على قصور تناطح السماء ، فتحولت المدينتان الى أتون متسعر ذي لهب قاتم يزعج النفوس واستفاق الأهلون الذين لم يفكروا هنيهة في الله ، واصوات الدماء توجف القلوب وانهيار الجدران يروّع الاسماع ، فاندفعوا في الطرق المتقدة والذعر آخذ منهم كل مأخذ ، فصارت الاجسام الى بقايا سوداء

هوذا الملك يشرف من قصره والكاهن من معبده والرجل والمرأة من مخدع غرامهما الدنس ، ولكن كيف السبيل الى الفرار والنار المضطرمة تلتهم وتدمر . فقل اذن ان الجحيم قد انفتح لابتلاع الارض وما عليها من مبانٍ واناس

لم تبقِ النار على شيء

وعبثاً حاولوا استمداد الآلهة فان يد الله قد ضربت فسحقت الانسان مع الصخر ، ولاشت العشب وجففت الماء ، وحوّلت عواصف تلك الليلة الرهيبة رواسي الجبال من حال الى حال

هناك سواد منتشر في الارض وفي السماء

هناك الآن صخور قاحلة جرداء لا يكاد ينبت فيها عشب حتى يصفر ويذبل ويموت ، فان الهواء الذي يهب في تلك الارجاء يلهب ويحرق

لم يبقَ المدينتين من أثر . ولم يدع الماضي لعبرة الحاضر والمستقبل سوى بحيرة مرة تغلي كمرجل لذكرى نار السماء

( تعريب حنا صاوه ) فيكتور هوجو

## جرائد سوريا ولبنان

اصبحت الجرائد العربية كثيرةً في سوريا ولبنان . فلا يمرُّ بنا اسبوع الاَّ نقرأ فيه عن صدور جريدةٍ جديدة لكاتبٍ جديد

ولا يخفى أنَّ الانسان لا تمكّنه الاحوال من مطالعة الجرائد كافةً لانه لا قبَل له بالاشتراك فيها بأسرها ولو كان موسراً كثير المال

ولما كان لي نزعة خاصة الى مطالعة الجرائد والمجلات العربيـة فقد أحببتُ أن أعرّف الاخوان بالصحافة والصحافيين في سوريا ولبنان . جاعلاً بين الفريقين صلة تعارف ورابطة اخاء

فقسمت الصحافة الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول الجرائد اليومية والقسم الثاني الجرائد الاسبوعية والقسم الثالث المجلات الشهرية والنصف شهرية

ولما كان ذرعي يضيق عن مطالعـة الجرائد جمعاء فقد ذكرت في هذه السطور أهمّ الجرائد التي أقرأها دائماً . فاذا أغفلتُ جريدةً فلأنني لم اقرأها طويلاً . او لأنني سمعت باسمها فقط . فعذراً من اصحاب هذين القسمين :

### ١ — الجرائد اليومية

١ً الاحوال ( بيروت ) : صاحبها سابقاً خليل البدوي واصحابها حالاً رعد وبوبز . هي الجريدة الوحيدة التي تصدر في كل البلاد العربية مرتين في النهار . كاتبهـا سليم العقاد . هو أعرف المحررين بأسرار الصحافة .

تكثر هذه الجريدة من التلغرافات والاخبار المحلية . لهجتها مسيحية . تدلي الى تحزب . جريئة في انتقادها الموظفين والمأمورين

٢ً لسان الحال ( بيروت ) : صاحبها خليل سركيس . هي جريدة المعتدلين . كاتبها رشيد عطية اللغوي المدقق . قراؤها التجار والكهول . آراؤها السياسية على خطةٍ واحدة فهي نسخةٌ من « الطان والليفانت هرالد » هي سائرة على قاعدة « القديم على قدمه » أما في الانتقاد فهي والاحوال على طرفي نقيض

٣ً المفيد ( بيروت ) : صاحباها عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس . يساعدهما في الكتابة أحمد صلاح الدين . هم ثلاثة اشخاصٍ في روحٍ واحدة . جريدتهم جريئة . ولها مواقف تشهد لها بحبها للعرب . وهي الجريدة البيروتية الوحيدة التي تقرأ في الاستانة بروّية واهتمام . فمنزلتها في بيروت منزلة طنين في الاستانة . قراؤها عديدون . واكثرهم من ناشئة المسلمين

٤ً النصير ( بيروت ) : صاحبهاعبود ابي راشد . محررها سعيد عقل الداموري . كاتب وشاعر معاً . هو سركيس بيروت . حركة دائمة . وأسرع كاتب في تسقُّط الاخبار ، وخصوصاً اللبنانية . يقرأ اللبنانيون النصير كثيراً . لها حملات شديدة على حكومة لبنان . تطبع كل يوم مضاعف بعض الجرائد اليومية . هي تمثّل « صوت الشعب » كما ان لسان الحال يمثّل « مشيخة الشعب »

٥ً الرأي العام ( بيروت ) : صاحبها ومحررها طه مدور . جريدتهُ

مندفعة كثيرة الانتشار بين الشبيبة المسلمة . تريد ان تسبق المفيد . والمفيد لا يشق له غبار — مخالفته ثلاثية — يغمس صاحبها قلمه في سويداء قلبه . فهو يكتب ليفيد اكثر مما يستفيد

٦ً الاتحاد العثماني ( بيروت ) : صاحبها الشيخ احمد طباره . هي عند المسلمين كلسان الحال عند المسيحيين . لها برقيات خاصة — والمفيد ايضاً — وخطتها سائرة مع الزمان

٧ً حديقة الاخبار ( بيروت ) : هي الجريدة الاولى التي تأسست في سوريا بفرمان سلطاني في ١ ك ٢ ( يناير ) سنة ١٨٥٨ . منشئها المرحوم خليل الخوري الشاعر الشهير . وقد تحول امتيازها لعهدة أخيهِ وديع الذي يحررها . مادتها ضعيفة . أخبارها وتلغرافاتها منقولة

٨ً الثبات ( بيروت ) صاحبها اسكندر الخوري . رئيس تحريرها خليل زينيه ، وهو شيخ المحررين ، وأخفهم روحاً وأطولهم باعاً

والثبات هي الجريدة البيروتية الوحيدة التي تصدر عند الظهر . اما بقية الجرائد اليومية — ما عدا احوال المساء — فانها تصدر صباحاً الاَّ يوم الاحد . اما جريدة ( المفيد ) فانها تصدر الاحد وتحتجب الجمعة

٩ً المقتبس ( دمشق ) : صاحبها محمد كرد علي ، مؤرخ مدقق وكاتب سريع الخاطر . يهتم بشؤون المسلمين اهتماماً شديداً . قوة الجريدة متوزعة بينها وبين المجلة

١٠ً العصر الجديد ( دمشق ) : صاحبها المحامي ناصيف ابو زيد . تختلف جريدته ارتقاء وترتيباً باختلاف كتَّاب العصر فيها فقد تولى

ادارتها عيسى اسكندر المعلوف فجرجي الحداد وسليم العنحوري فاسكندر المرّ حالاً . فالعصر في دمشق الشام كالصدق المحتجب في بونس ايرس

١١ الكائنات ( دمشق ) : صاحبها اديب نظمي . كاتب كبير . في انشائه رقة وسلاسة . وفي قلمه نفحةٌ من نفحات ( الاديب ) ولو لم يكن في دمشق العصر الجديد المسيحي والمقتبس الاسلامي لكان لهذه الجريده شأنٌ يذكر في ارض الشآم

هذه هي أهم الجرائد اليومية ومن وصفها ترى انّ فيها المتطرفة والمعتدلة والمحافظة

سليم ابراهيم دموس

( وسيأتي الكلام عن الجرائد الاسبوعية والمجلات )

## من كل حديقة زهرة

* تبلغ قيمة الاشجار المغروسة في شوارع برلين مليون مارك وعددها ٤٥ الف شجرة مزروعة في ثلثمئة شارع . ولدى المجلس البلدي ٢٥٠ بستانياً و ٧٠٠ مساعد لخدمة هذه الاشجار والحدائق العمومية ، وثلاثة ارباعهم من النساء

* من عادات اليابانيين في اعراسهم ان العروس توقد ليلة زفافها مشعلا وتقدمه الى خطيبها وهو يتناوله ويحرق بناره الالعاب التي كانت للفتاة في صباها

* في روسيا عدد كبير من البوليس السري . ولا يقلّ عدد النساء المنخرطات في هذا السلك عن الفي امرأة . ويبلغ رواتب البعض منهنّ

خمسين الف فرنك . فكيف يقال ان المرأة لا تحفظ سرًّا

* اكبر مدفعٍ في العالم موجود الآن في قلعة كرونستاد ( روسيا ) وقد صبّ في معامل كروب الشهيرة . ووزن قنبلته الف ومئتا كيلو غرام وهو يقذفها الى مسافة ١٩ كيلومتراً ويكلّف كل طلق من طلقاته ٧ آلاف و ٥٠٠ فرنك

* ثبت ان ميكروب السل لا يتسرَّب الى لبن الماعز فهو خير لبن يغذّى به الطفل المحروم من لبن امه

* في ولاية ميشيغان تبيع الحكومة رخصاً تجيز لصاحبها ان يصيد متى اراد وحيث اراد دون ان يتعرض له البوليس ، كما تباع رخص الصيد وغيرها

* لا غنى للانسان عن الملح ويجب ان يأكل منه ١٥ غراماً على الاقل و ٣٠ على الاكثر

* يقول الفلكي الاميركي ولد مركمبغرت ان النجم الذي سار وراءه المجوس الى بيت لحم لم يكن الاّ مذنب هالي

* لدى انكلترا اسطول من زوارق الصيد يبلغ ٢٦ الفاً و ٥٠٠ زورق يركبها مئة وستة آلاف صياد

* تفتخر السيدة ساره برملي من بوتجهام في انكلترا بانها اكبر نساء العالم سناً . فان لها من العمر ١١٢ سنة وقد عاشت في ثلاثة قرون ( الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ) لانها ولدت سنة ١٧٩٩

## عشرة اعداد الزهور

صدر في السنة الماضية اثنا عشر عدداً من « الزهور » في ٥٦٠ صفحة . ولما كان العدد الكبير من المشتركين يغيرون محل اقامتهم في شهري الصيف حدث تبلبل في توزيع المجلة وفقد منها اعداد كثيرة ، ولذلك رأينا ان نوقفها في شهري الصيف مصدرين منها عشرة أعداد بدلاً من الاثني عشر . ولكي لا يخسر القراء والمشتركون شيئاً. زدنا عدد صفحات الاعداد كما ترى ذلك الآن حتى تبقى مجموعة العشرة أعداد ٥٦٠ صفحة كمجموعة الاثني عشر عدداً . وخصصنا هذه الزيادة برواية شهرية تصدر في كل جزء اجابةً لطلب الكثيرين

محمد إمام العبد

## ازهار واشواك

مات محمد العبد الاديب المعروف بشعره الطلي ، وزجله اللطيف ، المشهور بلونه الابنوسي القاتم الذي كان يُعدُّ لون عنترة معه بياضاً ناصعاً ، مات إمام ، فكان لمنعاه رنة اسف وحزن ، لانه عاش بائساً ومات بائساً ، وكان يُلقِّب نفسه في حياته « إمام البؤساء ورئيس حزبهم » وقد تطوّع في هذا الحزب الكثيرون من الادباء واقرّوا له بالرئاسة والامامة . وله ولهم في هذا الموضوع قصائد جميلة تناقلتها الصحف . نظم إمام في موضوعات كثيرة ولكن الفكرة السائدة في شعره هي الانين والشكوى من الزمن . فقلما تطالع له بيتاً ولا ترى الدمع نافراً من حروفه ولا تسمع الزفير متصاعداً من تفاعيله . وكانت له طريقة في انشاد الشعر تشبه الندب والرثاء . ولكنه كان مع ذلك خفيف الروح لطيف المعشر لا يملّ جليسه له حديثاً ، وله في الاشارة الى لونه نوادر ونكات ظريفة منها جوابه المشهور لمن سأله عن امتناعه عن الزواج وهو ذلك البيت :

انا ليلٌ وكلُّ حسناءَ شمسٌ  فاجتماعي بها من المستحيلِ

لقيته يوماً وقد شدَّ عنقه بربطة حمراء فسألته عن السبب فقال : « ليعرف الناس اين ينتهي جسمي واين يبتدئ رأسي » وكنت مارًّا صباحَ يوم قرب البوستة فلقيت اماماً في قهوة كان يكثر التردد اليها فقال : هل لك في سماع شيء من الشعر ؟ — فقلت : هات — قال : احييت امس ان احذو حذو زميلي وابن لوني عنترة العبسي فنظمت ابياتاً في الحماسة ... وتلاها عليّ فاذا هي تهديد للاعداء وتغزل بالردينيات

والمشرفيات وتغني بخوض غمرات القتال ، فقلت له : سبقتَ والله فارس بني عبس فكأنك رضعتَ من لبن المعامع وربيت بين السيوف والرماح — فقال : ومع ذلك ألا ترى الجبن والخوف متجسمين في كل بيت — فاجبته : لا افهم الى ما تشير — فقال اسمع ، بينما كنتُ انظم هذه الابيات ليلة امس اذا بحركة بدت من ناحية النافذة فارتعدت فرائصي خوفاً ، وكاد لبي يطير شعاعاً ، ولم يكن ذلك الاَّ قطة جارتنا قفزت من كوة الدار ...

وكان إمام بعيد الشهرة في سوريا واميركا وكان يُراسل عدة جرائد وقد احرز بعض جوائز مالية في سباقات فتحتها صحف تلك البلاد . وسيكون لنعيهِ اسفٌ هناك كما كان له هنا . ولكن ذلك لا يجديه نفعاً بعد مماته ، كما ان شهرته لم تدفع عنه بؤسه في حياته . وهكذا يعيش ويموت الاديب في الشرق : كحصاة تلقى في الماء الراكد فتحدث بعض تموجات سرعان ما تضمحل ، وانتهى ! ولم يكن إمام العبد ليشذ عن هذه القاعدة رحمات الله عليهِ . . !

أمٌ ولا كالامهات :

جرت هذه الحادثة منذ شهرين ، في ايام الاعياد ، ولم يتسنَّ لي ان اقصها على قرائي وقارئاتي قبل اليوم ، ليشاركوني في التلذذ بها ، لانها وايم الحق لذيذة جدًّا ، بل هي الذ من حلوى العيد ، او انَّ ذوقي وجدها كذلك ... دعاني احد الرفاق مع صاحب « الزهور » لمناولة الطعام عنده ، فاجبت الدعوة . وقضينا ساعات رائقة بين اكل مريء

وشرب هنيء وحديث عذب . وكان لصاحبي ولد يذهب ويجيء بيننا فرحاً مرحاً . ويعرض عليّ الالعاب التي أهديت اليه في العيد وهو معجب خصوصاً بلعبةٍ تدور بلولب خاص وتسير كأنها القطار البخاري .

فقلت للولد على سبيل المداعبة :

— اي متى يحملك الاعجاب بحركتها الخفية على كسرها ؟

— فالتفتت اليّ الوالدة وقالت :

— بالله عليك يا حاصد هلاَّ سألته اي متى يحمله الدرس والاجتهاد على اختراع مثلها ؟

وقف الولد عن كل حركة وحدّق عينيه الجميلتين في عيني امه كأنه يحاول ان يرى في تلك المرآة الصافيــة معنى ذلك القول الذي لم يدرك كنهه عقله الصغير وقال بكل سذاجة : الحق معكِ يا أماه . . !

قبّلتُ الولد وانحنيت إجلالاً امام تلك الأم الفاضلة . وقــد ذكّرني كلامها ما قاله قائد الماني في خطبة كان قد القاها منذ ايام وجيزة : « يا قوم انتم في هذه المدارس تبحثون عما تهدونه الى اولادكم ، لا تفتشوا طويلاً ، اهدوا اليهم سيوفاً وبنادق لتتربى فيهم روح الشجاعة والبسالة فينشأوا اشداء افوياء » بل رأيت كلام هذه الأم الفاضلة اعقل واسمى من كلام القائد . ولما تركنا المنزل قال لي صاحب « الزهور » : عسى ان يكون لهذه الحادثة نصيبٌ من ازهارك واشواكك . فوعدت وها قد انجزت . ويا شد ما تكون دهشة هذه الأم عند ما ترى كلامها مدوّناً في هذه الصفحة

صلاة الحصان :

للغربيين عطفٌ على الحيوانات يفوق عطفنا على اخواننا بني الانسان . وقد الفوا الجمعيات الكثيرة للرفق بالحيوان وانفقوا في هذا السبيل الاموال الطائلة لتخفيف اوجاع الحيوان غير الناطق . وقد ابتدعت احدى هذه الجمعيات في الولايات المتحدة طريقة لطيفة للوصول الى هذه الغاية . فألفت صلاةً دعتها « صلاة الحصان » وطبعت منها الملايين من النسخ وعلقتها في الشوارع والمحلات العمومية . واليك نصها كما قرأتها في جرائد تلك البلاد :

« بخضوع أرفع اليك صلاتي يا معلمي اطعمني وارو ظمأي . وبعد العمل والتعب امنحني فرصة للراحة في الاسطبل الخاص . بلغني أوامرك بالكلام لان صوتك أفعل بي من اللجام والسوط . علمني وعوّدني العمل بتمام ارادتي . لا تضربني عند الركوب ولا تجذبني بسير اللجام عند النزول . واذا أنا لم أفهم حالاً لا تسرع وتقبض على السوط بل انظر جيداً الى اللجام لعله يجرحني والى الحديدة التي في رجلي لعلها تؤلمني . واذا رأيتني أعلك حديدة اللجام انظر الى اسناني . لا تقطع ذنَبي لانهُ سلاحي الوحيد ، أُحارب بهِ الذباب المحيط بي . يا معلمي العزيز اذا جعلني كبرسني ضعيفاً وعاجزاً فلا تحكم عليَّ بالموت جوعاً ، بل احكم عليَّ بالاعدام ذبحاً تخفيفاً لعذابي . وفي الختام سامحني لاجل هفواتي ، واقبل هذه الصلاة التي أرفعها الى مقامك السامي بكل تقوى ، آملاً ان تحوز قبولاً . فانني مولود حسّاس مثلك أستحق الشفقة والرحمة . آمين

ماصر

## رواية الشهر

## مغارة العظام

### ١

— امسيكم بالخير يا جدعان

— اسعد الله مساك يا سليم ! أهلاً وسهلاً

— كل عام وانتم بخير

— وأنت بألف خير . يا مرحباً بك . تفضل واجلس

وكان الداخل ـ سليم ـ فتى في مقتبل الشباب ، تبدو على وجهه سمات السذاجة والقناعة ، وهو لابس عباءةً قد التفع بها على زيّ القرويين في لبنان ، متلثم بكوفية تردُّ عنه هجمات البرد وتكسب هيئته شيئاً من الشجاعة والاقدام . وعند دخوله انتصب الجميع واقفين ووضع كلٌّ يده اليمنى على صدره حسب العادة إجابةً للتحية. فجلس سليم القرفصاء في حلقة الاخوان والاصحاب ، وهو يردّد : تفضلوا ، ربنا يحفظكم ...

وكان قد جاء لقضاء السهرة مع زمرة من عشرائه في بيت أحدهم ، وكانت الليلة ليلة رأس السنة . وقد جرت العادة في مثل هذه الفرصة أن يجتمعوا فيتداولوا الاحاديث المتنوعة والاخبار والنوادر . وكثيراً ما خالط اصواتهم رنة الاقداح ، وطيبت ارواحهم بنت الراح

فلما اجتمع شملهم في تلك السهرة خاضوا كل المواضيع . فتكلموا عن العام الجديد والاحوال الحاضرة ، وعن المزروعات وبشائر الموسم ، وعن العادات والتقاليد فأدى بهم الحديث بالطبع الى ذكر الايام الغابرة والاسف عليها والحنين

اليها . فقال « العم ابو حبيب » وكان اكبر الجميع سناً

— لا يذهب يومٌ ويأتي مثله . سقى الله أيام اجدادنا فانها كانت أيام خير ومروءة وشهامة

وهكذا أخذوا يثنون على العصور الماضية وطفق كلٌّ يسرد ما رواه له آبوه أوجده عن أمورٍ شتى ونوادر متنوعة وخصوصاً ما يتعلق بالبسالة والبأس وقوة الجنان . هذا وسليم صامت لا ينطق بحلوة ولا مرة . على انه كان يتأفف في قلبه من الحط من شأن رجال اليوم وإقدامهم . فاعترضهم أخيراً قائلاً :

— بارك الله في همم الرجال ! لا تظنوا أن النخوة قد تلاشت أو ان الشجاعة قد فقدت من صدورنا . وما أيامنا إلاّ كايام من تقدمنا . وفي كل عصرٍ رجالٌ لا يهابون الموت اذا تمثل لهم ، وآخرون يخشون ظلهم اذا انعكس في ضوء القمر

فاشتدّ حينذاك الجدال وادّى الى التحزب للماضي أو الانتصار للحاضر . وجاء في عرض الكلام ذكر « مغارة العظام » وخوف الناس من المرور بجانبها ، فقال أحد الحاضرين لسليم :

— اذا كنت يا صاحبي كما تدّعي لا تقلّ شجاعةً وبأساً عن أبائك وأجدادك . هل لك أن تقصد « مغارة العظام » في مثل هذه الساعة فتدق فيها وتداً ؟

— ادقُّ وتداً وآتيكم بجمجمة ... قال سليم ذلك ببعض البساطة الدالة على ثبات جنانهِ

فوقع كلامهُ على الحاضرين موقع الدهشة . لأن المكان المذكور كان قفراً ، قد انتصبت فيه صخورٌ جرداء ، لا نبات هناك ولا أثر للحياة ، وكان في منعطف ذلك الموضع مغارة واسعة ألقيت فيها من أمدٍ مديد عظام وجماجم كثيرة فاكسبتها اسمها « مغارة العظام » وكان ذلك القفر مخيفاً رهيباً . واذا اضطر بعض القرويين للمرور به نهاراً يسير وجلاً مذعوراً ويهرول دون أن يحول نظرهُ الى تلك المغارة المشؤمة

وهو يكثر من ذكر اسم الله العظيم مستعيذاً به من شرّ الابالسة والجن . أما في الليل فما كنت تجد من يتجرأ على المرور من هناك « ولو ملكته كل املاك القرية » لأن السكان كانوا يزعمون أن ارواح الموتى تطوف ليلاً في ذلك المكان ، فيا ويل من يراها أو تراه

ولذلك أحدث جواب سليم دهشة في الحاضرين ، فنسبوا كلامه في بداية الامر الى المزاح أو الادعاء . لكنه اتبع القول بالفعل وقام للحال فالتفع بعباءته وتلثم بكوفيته وقال : « على الله الاتكال » وخرج والجميع في حيرة من أمره

٢

في بيت منفرد عن بيوت القرية فتاة يتيمة اسمها سلمى تعيش وحدها مع جدتها العجوز وتكتسب قوتهما بعرق جبينها من غزل القطن وتسليك الحرير

وكانت الفضائل قد زينت روحها كما ان الطبيعة قد زانتها بالجمال واللطف المقرون بالشجاعة وليس ذلك بالشيء النادر بين القرويات

وكان قد خطبها شاب يتيم مثلها ومكمل الصفات مثلها ـ وهو صاحبنا سليم الذي عرفناه في مطلع هذه الرواية ـ فاقسمت له ان تحفظ عهده وتصون ودّه ، وعاهدها هو على مثل ذلك . فكان الحب بينهما متبادلاً

وكان ابراهيم عبدالله أحد الشبان المعروفين بسوء الأخلاق ولؤم الطباع قد فُتن بهوى سلمى وأخذ يزاحم سليماً في حبها . ولكنها لم تكن تلتفت اليهِ . وكثيراً ما حاول ان يستميلها تارةً بالوعد وطوراً بالوعيد فلم تكن الاَّ لتزيد نفوراً منه . وقد علم خطيبها سليم بواقع الأمر فلم يكترث له لانه كان واثقاً بمقدرتهِ وفضله على ابراهيم ومكانتهِ من قلب خطيبتهِ . سيما وانه يعرف في قرنهِ الوهن والجبانة فكان يعرض عنه ازدراء او شفقةً

وقد جاء سليم في أول تلك السهرة — ليلة رأس السنة — فزار خطيبته . وقدّم

لها ولجدتها الهدايا البسيطة في ذاتها العظيمة بما قارنها من عواطف حبهِ . واتفق ان دُعيت الجدة ليلتئذٍ الى بيت كانت صاحبته مشرفة على الولادة، فلبت الدعوة عملاً بالواجب المرعيـة حرمته بين القرويين ، واذ ذاك لم يسع الشاب الاَّ الرحيل أدباً ولياقة ، فسار قاصداً حلقة الاصحاب للسمر معهم فكان من أمره معهم ما عرفناه

وبقيت سلمى وحدها تتسلى بذكر خطيبها ، واذا بالباب قد فتح فجأةً ودخل ابراهيم عبدالله وهو في منتهى التهيج . فانه كان يترقب فرصة يخلو له فيهـا الجو . فطال انتظاره حتى عيل صبره وكاد يقطع الأمل لو لم تواطئه الايام وتمهد له السبيل في هذه الليلة . ولما دخل صاح بالفتاة « والآن ٠٠ ؟ » وهجم عليها . ففرت من وجههِ ولجأت الى زاوية البيت فتبعها . ولما ضاق بها المـكان ولم تجد لنفسها مناصاً رجعت اليهِ لتدفعه، فوقع نظرها على خنجر في منطقتهِ ، فانتشلته باسرع من لمع البرق وصاحت « اليك عني والاَّ قتلتك » وكان التهيج والغضب قد أخذا منه مأخذهما حتى كاد يفقد رشده، فهجم عليها . ولكنها قابلته بطعنة خرقت أحشاءه . فوقع على الارض صريعاً يتخبط بدمه ولم يلبث ان فاضت روحه الخبيثة

وحينئذٍ اضطربت الفتاة واستولى عليها الذعر من هول هذا المشهد ونظرت الى السماء نظر الخائف المستغفر ولسان حالها يقول : يا إلهي انت الشاهد على غدره ، لم يكن لي وسيلة اخرى لصيانة شرفي . أنا بريئة يا إلهي !

ولكن اذا كانت بريئة في عين الله فكيف يعلم البشر براءتها وكيف يصدّقون كلامها ؟ وماذا عسى ان يكون من أمرها وكيف العمل للخروج من هذا المأزق الحرج ٠٠ ؟ لم تجد سبيلاً الاَّ مواراة الجثة وكتمان الامر خشية الفضيحة والهوان ، ولكن ما الحيلة ومن يكون نصيرها وسليم غائب ، وجدتها بعيدة عنهـا ، وكيف الوصول اليهما دون ان تتنبه الظنون

دارت كل هذه الامور في رأس الفتاة واستولت الحمى على دماغها المضطرب

فلم ترَ الاَّ ان تستجمع قواها وتتكل على شجاعتها فتقوم وحدها بستر أمرها . فعمدت الى الجثة ووضعتها في كيس وحملتها على ظهرها وقد ضاعف الرعب قواها وسارت قاصدة مغارة العظام لتواريها هناك

٣

وصلت الى المغارة وقد أنهكها التعب فتقدمت وهي ترتعد خوفاً ورعباً ، وكان لاقدامها وقع مروّع يرنّ في اذنيها كصوت قضاء رهيب. وقد حجبت الغيوم المتلبدة في كبد السماء وجه القمر الساري فساد على تلك الاطلال ظلامٌ مدلهم ترتعش من هوله الأبدان . تقدمت الفتاة وهي تعثر تارةً بجمجمة وتارة ببعض العظام المتراكمة فيزداد اضطرابها ورعبها . ولما وصلت الى الداخل أخذت تعمل على مواراة الجثة تحت كومة من العظام اذ طرق مسامعها وقع أقدام على باب المغارة

فانتفضت مذعورة وقد أخذتها القشعريرة . فحوّلت نظرها الى الخارج فتراءى لها خيال قائم أمامها يتقدم ببطء وهدوء ورأت نفسها وحدها في هذا المكان المخيف ، ولا مجير ولا معين ، فافتكرت : آه لو كنت هنا يا سليم ورأيت في اي حال اصبحت تلك التي قادها حبك والاحتفاظ بعهدك الى هذا المكان في مثل هذه الساعة

ثمّ ما لبثت ان عاد اليها الجلد بعد ان استعانت بالله ، فعمدت الى العظام والجماجم المحيطة بها وأخذت تقلبها بعضها على بعض ، فاحدثت قرقعة مخيفة رددتها جدران المغارة ، وتواتر بها رجع الصدى . وكانت سلمى ترمي من وراء ذلك الى إخافة الطارق في مثل هذه الساعة . فلم يخطئ ظنها لأن الخيال وقف برهة كمن داخله الخوف . لكنه عاد فأخذ يتقدم الى الامام شيئاً فشيئاً ، وسلمى واجفة لكنها تزيد في قرقعة العظام

٤

ولم يكن الداخل الاّ سليم ، فانه جاء قاصداً مغارة العظام ليأتي بالجمجمة التي راهن

عليها رفاقه . فلما وصل وقف عند الباب ومرح بصره في الداخل ، فلم يرَ شيئاً من اشتداد الظلام ، فتقدم قليلاً فسمع تلك القرقعة في المغارة ، فاول حركة بدت منه الرجوع الى الوراء ، لكنه نفى عن مخيلتهِ ما تصوره حلماً وتقدم وهو يظن أن اذنيه اسمعتاه شيئاً وهمياً ... ولكن زادت الضجة ... لا محل للريب ، ان في المغارة أحداً ... أمن عداد الاحياء هو ام من عالم الاموات ...؟ تقدم بضع خطوات ، والقرقعة تزيد كأن الابالس حاولت أن تقلق راحة هذا المكان : ولكن لا بد لسليم من أن يأخذ جمجمة ويقوم بوعده ولو خرج الشيطان بنفسهِ ليحول دون مبتغاه . فما زال يتقدم . وحينذاك انجلى القمر قليلاً فتراءى للشاب منظرٌ هائل : جثة منتصبة امامه تتقدم نحوه ووراءها يلوح خيال لم يتميزه ... ثمّ انبعث من وراء الجثة صوتٌ يلقي الرعب في القلوب : « يا من لا يخاف من الاحياء ارتعدْ امام الاموات » فاوجس سليم خيفةً مما رأى وسمع ، وكاد يطير فؤاده روعاً . لكنه ما برح يتقدم كمن تجرّهُ قوة جذابة ، فما شعر إلاّ وقد سقط عليه شيءٌ ثقيل بارد ، ولم يكن ذلك غير الجثة ، فصرخ « باسم الله ...! » واستلّ خنجره ، فاجابه صوتٌ ضعيف : « استرني اياً كنت يسترك الله ! »

وكان القمر قد سطع بكل جلاء فاضاءت المغارة ومن فيها ، فعرفت سلمى الخيال الداخل عليها ، وعرف سليم الشبح المنتصب أمامه ، ففتح ذراعيه وهتف :

— أنت هنا يا سلمى ...!

— حفظاً لعهدك يا سليم .. !

وأشارت اشارة معنوية الى جثة مزاحمهِ المطروحة على قدميه بين العظام والجماجم ففهم كل شيء